

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 4- سورة الذاريات | من الآية 42 إلى 03

عبدالرحمن العجلان

رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين - [00:00:00](#)

تقربه اليهم قال الا تأكلون وبشروه بغلام اليم فاقبلت امرأته في سره فصكت وجهها وقالوا عجوز عقيم وقالت عجوز عقيم قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم هذه الايات الكريمة - [00:00:43](#)

من سورة الذاريات جاءت بعد قوله جل وعلا وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون - [00:01:24](#)

هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين؟ اذ دخلوا عليه في هذه القصة يذكر الله جل وعلا اتيان الملائكة عليهم الصلاة والسلام الى خليله ابراهيم عليه الصلاة والسلام جاءوا اليه بصورة بشر - [00:02:00](#)

في سورة من بني ادم كأنهم وهم ملائكة والملائكة جعلهم الله جل وعلا يأتون الى رسله احيانا في سورة بني ادم كما جاء جبريل عليه الصلاة والسلام مرة الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم - [00:02:32](#)

في صورة دحية الكلبي شيخ من شيوخ العرب وجاء احيانا في صورة رجل لا يعرف حينما جاء يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الاسلام والايمان والاحسان والساعة وامارات الساعة - [00:03:03](#)

كما وصفه الصحابي بقوله جديد بياض الثياب. شديد سواد الشعر لا يرى عليه اثر السفر ولا يعرفه منا احد رجل جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جبريل عليه الصلاة والسلام - [00:03:29](#)

فهؤلاء الاضياف جاؤوا الى ابراهيم عليه السلام في سورة اناس من بني ادم اثني عشر وقيل عشرة وقيل ثلاثة وفيهم جبريل عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام هل اتاك حديث حديث اي خبر - [00:03:49](#)

وقصة ابراهيم المكرمين هل اتاك هنا استفهام المراد بالاستفهام تفخيم ما بعده اشعار المخاطب في اهمية ما بعد السؤال هل اتاك حديث ضيف ابراهيم وقيل هل هنا بمعنى قد كما قال الله جل وعلا - [00:04:22](#)

هل اتى على الانسان من الدهر هل بمعنى قد اتى على الانسان هل اتاك حديث ضيف ابراهيم وكلمة طيب تطلق على الواحد والجمع انها من المصادر المكرمين هؤلاء الضيف مكرمون مكرمون - [00:05:03](#)

عند الله جل وعلا كذلك مكرمون عند ابراهيم عليه الصلاة والسلام اهتم بهم واکرمهم واعتنى بهم وهو لا يعرفهم. ولا يعرف انهم ملائكة في اول الامر فهو عليه الصلاة والسلام - [00:05:36](#)

قام وخدمهم بنفسه. عليه الصلاة والسلام تكريما لهم والنبي صلى الله عليه وسلم اوصى وامر باكرام الضيف في قوله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه - [00:06:03](#)

والضيف له حق واجب وله حق مستحب وقراه يوم وليلة واجب اذا تركه المضيف اثم لانه ترك واجبا واكمل ثلاثة ايام مستحب للمضيف ان يكمل ضيافته بثلاثة ايام وما زاد عن ذلك فهو فضل - [00:06:28](#)

يعني ليس بواجب على الانسان وليس بمؤكد عليه ليس من المستحب المؤكد بل لا ينبغي للضيف ان يطيل فيثقل على صاحبه اذ

دخلوا عليه وقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون - [00:06:57](#)

اذ دخلوا عليه يعني هل اتاك خبرهم او انتبه لخبرهم حين دخلوا عليه ما الذي حصل بين الضيف والمضيف فقالوا سلاما قال سلام هم قالوا سلاما بالنصب وهو قال سلام - [00:07:22](#)

وجملة سلامهم هم فعلية اي نسلم عليك سلاما وهو اجاب بجملة اسمية والجملة الاسمية ابغ من الجملة الفعلية فسلام ابراهيم وردة افضل من سلام الملائكة عليه فهو اخذ عليه الصلاة والسلام - [00:07:53](#)

بالافضل من قوله جل وعلا واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها والافضل للمرء اذا سلم عليه ان يرد بافضل مما قيل له ويحسن بالانسان اذا قيل له السلام عليكم - [00:08:34](#)

ويجواب بافضل فيقول وعليكم السلام ورحمة الله واذا قيل له السلام عليكم ورحمة الله يقول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فيحسن ان يرد بافضل مما قيل له وقلنا ان جملة الاسمية - [00:09:08](#)

مبلغ لانها تدل على الدوام والثبوت والجملة الفعلية تدل على الحدوث وما دل على الدوام والثبوت فهو ابغ مع ان الاية قرأت الو سلام قال سلام. سلام القراءتان القراءة بالرفع اللاتين - [00:09:40](#)

وقرأ بنصب اللاتين وقراءة الجمهور بنصب الاول ورفع الثاني قوم منكرون قوم لمبتدأ محذوف تقديره انتم انتم قوم منكرون يعني لا يعرفهم لانه رأى فيهم اشياء استنكرها اولا سلامهم عليه - [00:10:10](#)

وهذا غير معروف عند من يأتي الى ابراهيم فاستنكر هذا السلام من هؤلاء الرجال ورأى فيهم اشياء تتميز عن صفات بني ادم فاستنكرهم بمعنى انه لا يعرفهم ولا يدري من اين جاءوا - [00:10:51](#)

ومع عدم معرفته اياهم سارع عليه الصلاة والسلام بتقديم القراء فراغ بمعنى عدل ومالا الى اهله بسرعة وخفية وهذا من كرم المضيف انه اولا يسارع في تقديم القرى ثانيا انه - [00:11:21](#)

لا يشعر الظيف بذهابه الى اهله من اجل تقديم القرى خشية ان يمنعه الضيف وليس من من كرم الضيافة مثلا اذا اراد ان يذبح للضيف ان يأخذ المدينة او السكين فيشحذها عنده ويسنها كانه يشعره - [00:11:54](#)

اني ابا افعل كذا يحاول اخفاء ما يريد ان يفعل حتى يقدم الضيافة جاهزة بدون ان يحرج الضيف يمنعه او يستحي من ان يأذن له في ان يفعل له شيئا - [00:12:19](#)

فراغ الى اهله مال اليهم بسرعة كما يفهم من كلمة راغ فهي تختلف عن كلمة ذهب وانما مال الى اهله بسرعة يعني من حوله ممن عنده ماشيته فجاء بعجل سمين - [00:12:47](#)

وفي الاية الاخرى فجاء بعجل حنيد كما في سورة والسمين الخيار والحنيذ المشوي على النار وعلى الرذف الحصى فقربه اليهم الربعة من كرم الضيافة ان يقدم الطعام للظيف ولا يقام الضيف ليدخل على الطعام - [00:13:16](#)

وكونه يقدم افضل من هذه الايات تقربه اليهم. يعني وضعه بين ايديهم ولم يأمرهم عليه الصلاة والسلام امرا لان الامر فيه ثقل على المأمور بل قال عليه الصلاة والسلام الا تأكلون - [00:13:50](#)

ما قال كلوا فلم يأكلوا مع هذا العرض فعند ذلك اوجس منهم خيفة في الاول انكرهم لانه لا يعرفهم وما توقف عن شيء مما ينبغي للضيف وسارع في اكرامهم ما ادخر وسعا في الاكرام - [00:14:17](#)

فلم يقبلوا كرامته فحينئذ اوجس منهم خيفة محتمل انهم جاؤوا لان من العادة ان الضيف اذا اكل طعام المضيف امن المضيف منه واذا امتنع عن اكل شيء من طعامه خاف صاحب المنزل - [00:14:49](#)

لان صاحب المنزل يخاف ممن يأتي اليه حتى يطعم من طعامه فاذا طعم من طعامه امن لانه ليس من العادة عند الخيار ان يأكل من طعامه ويؤذيه لكن لما امتنعوا عن الاكل - [00:15:23](#)

اوجس منهم خيفة ما يدري ما الذي جاء بهم ولما جاءوا وهو لا يعرفهم ولعلها ظهرت امارات شيء من الخوف عليه عليه الصلاة والسلام لان اثر السرور يظهر على البشرة - [00:15:48](#)

واثر الخوف يظهر كذلك واثر الحزن يظهر كذلك اثر الندارة يظهر. واثر البشارة يظهر وفي اسارير الوجه تشف عن ما في القلب والظمير وتبين لهم ان عنده شئ من الخوف - [00:16:12](#)

فسارعوا عليهم الصلاة والسلام لازالة ما وجد في نفسه من الخوف وقالوا لا تخف فاجس منه مخيفة قالوا لا تخف وبشروه اعطوه وافادوه بافادتين مهمتين الاول انهم طمأنوه لا يخاف - [00:16:37](#)

الامر الثاني انهم مع حرصهم على زهاب الخوف عنه بشروه اعطوه بشارة ثمينة بشارة غالية وبشروه بغلام عليم من هو هذا المبشر به ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولد له اثنان اسماعيل - [00:17:10](#)

واسحاق اسماعيل امه هاجر واسحاق امه سارة وتنطق سارة بالتشديد والتخفيف هاجر هي التي وهبها الملك الظالم بشارة اعطاها اياها فاعطتها ابراهيم فانجبت منه اسماعيل عليهما الصلاة والسلام وسارة - [00:17:38](#)

بلغت تسعين سنة وهي لم تلد ولم تحمل فهي عقيم والعقيم هو الذي لا يولد له من الرجال او النساء يقال رجل عقيم وامرأة عقيم فهذا المبشر به ولد ابراهيم من سارة - [00:18:16](#)

التي هي زوجته وتلك موهوبة لسارة ووهبتها لابراهيم فانجبت منه اسماعيل لان الله جل وعلا قال في الاية الاخرى وبشرناه باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب بشره الله جل وعلا بانه يولد له اسحاق - [00:18:39](#)

وان اسحاق يلد يعقوب في حياة ابراهيم عليهم الصلاة والسلام وبشروه بغلام عليم يعني اذا علم وبصيرة اذا بلغ مبلغ الرجال وعليم صيغة مبالغة من اسم الفاعل عالم اي انه ذا علم - [00:19:12](#)

وهو نبي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام هذه القصة قد تقدمت في سورة هود والحجر ايضا يعني تقدمت في سورتين سابقتين قبل سورة الذاريات سورة هود وسورة الحجر. نعم وقوله - [00:19:56](#)

هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اي الذين ارصد لهم الكرامة وقد ذهب الامام احمد وطائفة من العلماء الى وجوب ضيافة النزيل وقد وردت السنة بذلك كما هو ظاهر التنزيل - [00:20:21](#)

وقوله قالوا سلاما قال سلام الرفع اقوى واثبت من النصب فربه افضل من التسليم ولهذا قال تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها الخليل اختاروا الافضل وقوله قوم منكرون - [00:20:43](#)

وذلك ان الملائكة وهم جبريل واسرافيل وميكائيل قدموا عليه في صورة شباب حسن عليهم مهابة عظيمة. ولهذا قال قوم منكرون لا يعرفهم على هذه الصورة والا فهو يعرفهم صلى الله عليه وسلم على صورة الملائكة لانهم قد جاؤوه قبل ذلك - [00:21:12](#)

فراغ الى اهله ان صلى خفية بسرعة فجاء بعجل ثمين اي من خيار ما له وفي الاية الاخرى فما لبث انجى بعجل حنيذليل حنيذ وبعجل سمين يعني من الخيار - [00:21:40](#)

ورؤيا ان اكثر مال ابراهيم من البقر عليه الصلاة والسلام اي من خيار ما له وفي الاية الاخرى فما لبث انجى بعجل حنيم هاي مشوي على الرظف تقربه اليهم اي ادناه منهم - [00:22:04](#)

قال الا تأكلون تطف في العبارة وعرض حسن وهذه الاية انتظمت اداب الضيافة فانه جاء بطعامه من حيث لا يشعرون بسرعة ولم يمتن عليهم اولا فقال نأتيكم بطعام بل جاء به عرض عليهم يعني قال هل تريدون طعام - [00:22:27](#)

هل انتم جياع تريدون نعجل الطعام مثلا قربه وادناه اليهم ولم يسألهم فيحرجهم ولم يمتن عليهم اولا فقال نأتيكم بطعام بل جاء به بسرعة وخفى واتى بافضل ما وجد من ما له وهو عجل وهو - [00:22:54](#)

وعجل فتي سمين مشوي تقربه اليهم لم يضعه وقال اقتربوا بل وضعه بين ايديهم ولم يأمرهم امرا يشق على سامعه بصيغة الجزم بل بل قال اقتربوا الا تأكلون على سبيل العرض والتلطف - [00:23:19](#)

كما يقول القائل ان رأيت ان تتفضل وتحسن وتتصدق فافعل يعني يعرض عليه عرض ولا يأمره. نعم. ادبا معه وقوله واوجس منهم خيفة هذا محال على ما تقدم في القصة في السورة الاخرى - [00:23:50](#)

وهو قوله فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكيرهم واوجس منهم خيفة ما مدوا ايديهم الى الطعام لانهم ملائكة عليهم الصلاة والسلام فهم

لا ياكلون لكن لما لم يمدوا ايديهم الى الطعام او جس منهم خفة نكرهم يعني خشية منهم واوجس منهم خيفة - [00:24:15](#)

انهم جاؤوا لشرق لان من جاء لشر لا يأكل عند المضيف قالوا لا تخف ان او استبشرت بهلاكهم لتمردهم وعتوهم على الله وعند ذلك بشرتها الملائكة باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب هذا في سورة هود نعم فضحكت فبشرناها باسحاق - [00:24:40](#)

ومن ورائه اسحاق يعقوب. نعم قالت يا ويلتا الد وانا عجوز وهذا بعلي شيئا ان هذا لشيء عجيب قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد - [00:25:10](#)

هذه الايات في سورة هود نعم. ولهذا قالها هنا وبشروه بغلام عليم البشارة له هي بشارة لها لان الولد منها فكل منهما بشر به فاقبلت امرأته في صرة امرأته في صرة - [00:25:31](#)

اقبلت اولاً تكلمت لان الاقبال هذا ليست ليس المراد والله اعلم انها جاءت من بعيد. هي كانت معهم في البيت وانما توجهت الى هذا الشيء مثل ما يقال مثلاً اقبل - [00:25:57](#)

يسبني او اقبل يشتمني او اقبل كذا. وهو موجود من قبل ما جاء من بعيد فهنا كذلك والله اعلم فاقبلت امرأته في صرة يعني في صرخة في صوت تعجب واستنكار - [00:26:17](#)

كيف تبشر بغلام وهي تبلغ من العمر تسعين سنة وما ولدت من قبل ما وردت في ايام شبابها وفي سن ولادتها ما ولدت فكيف اذا بلغ التسعين سنة او اكثر من ذلك - [00:26:37](#)

وزوجها كذلك ما ولد له وهو في سن الشباب وقد بلغ المئة سنة او مئة وعشرين على ما قيل فكيف يكون الولد استغربت هذا واقبلت امرأته في صرة يعني صرخة صحيحة - [00:26:58](#)

تعجب واستغربا وصكت وجهها قالوا الصك ضرب الشيء بشيء مفترش مفروش ما ضربت وجهها بحصاد او بعضا او بشيء حاد وصكت وجهها قالوا ضربته بيدها مفلولة الاصابع قالوا كما تفعل النساء عند استغراب الشيء - [00:27:22](#)

تضرب جبينها باصابعها مفلولة. اذا قيل لها خبر تعجبت منه ضربت جبينها بشيء باصابعها استغرابا وصكت وجهها وقالت عجوز عقيم كيف البشارة اولاً عجوز امرأة كبيرة في السن والكبيرة في السن لا تلد وان كانت قد ولدت من قبل - [00:27:58](#)

فما بالك بها وقد كانت عقيم ايام سن الولادة ما ولدت ايام سن الولادة ما ولدت قالت عجوز عقيم يعني استغراب واستبعاد لهذه البشارة قالوا كذلك قال ربك العلم هذا جاء من الله جل وعلا لا منا - [00:28:29](#)

محتمل للصدق والكذب؟ لا قالوا كذلك قال ربك انه حكيم عليم حكيم يضع الاشياء مواضعها جل وعلا عليم ما يصلح عباده جل وعلا واقتران الاسميين فيه فائدة زائدة على ما تضمنه كل اسم - [00:28:58](#)

في بني ادم في الانسان يقال هذا حكيم يعني يظع الشيء في موضعه المناسب له لكن قد يعلم وقد لا يعلم وقد يكون المرء عليم عنده علم لكن ليس عنده حكمة - [00:29:32](#)

والله جل وعلا حكيم يضع الاشياء مواضعها عليم فحكيمته مبنية على علمه. واجتماع الاسميين الكريمين معا يدل على معنى زائد الحكمة وصف حسن والعلم كذلك واجتماعهما فيه حسن اكثر وهكذا كثيرا ما يقرن الله جل وعلا - [00:29:54](#)

بين وصفين كريمين له ويستفاد من كل وصف ما دل عليه. ويستفاد من اجتماعهما وصف زائد قالوا كذلك يعني هذا الامر الذي نقوله لك قاله ربك ليس من عندنا وثقي وتيقنيه - [00:30:31](#)

ويقال انها احست بالدم الحيض فيها من تلك البشارة وان الولد ولد بعد تمام سنة من تلك البشارة وهي ولد لها وهي فوق التسعين عاما وابراهيم عليه الصلاة والسلام قيل مئة وقيل مئة وعشرون - [00:30:58](#)

والرجل قد يولد له وهو كبير في السن يزيد عن المئة ويولد له لكن العادة في المرأة انها اذا بلغت خمسين سنة انقطع حيضها وانتهت سن الولادة عندها ولهذا قال بعض الفقهاء رحمهم الله لا حيض قبل تسع سنين - [00:31:25](#)

ولا بعد خمسين سنة فاقبلت امرأته في صرة اي في صرخة عظيمة ورنة ابن عباس ومجاهد وعكرمة وابو صالح والضحاك وزيد بن اسلم والثوري والسدي وهي قولها يا ويلتا وصكت وجهها - [00:31:52](#)

اي ضربت بيدها على جنبها قالوا مجاهد وابن سابط وقال ابن عباس نظمت اي تعجبت كما تتعجب النساء من الامر الغريب وقالت
عجوز عقيم او كيف الد وانا عجوز عقيم؟ وقد كانت في حالة الصبا عقيما لا تحمل - [00:32:20](#)
قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم اجعلي من بما تستحقون من الكرامة حكيم في اقواله وافعاله والله اعلم وصلى الله وسلم
وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - [00:32:48](#)